مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print)ISSN 2521-3954 (Online)

في التَّسْلِيْمِ لِلْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ

# التَّرَاكِيْبُ النَّحْوِيّةُ فِي كَلَامِ الإِمَامِ الحَسَنِ ﷺ دِرَاسَةٌ – نَحْوِيَّةٌ– دَلَالِيَّةٌ

بدور عبد الرحمن الزيات[1]
١ جامعة الفرات/ كلية الآداب/ قسم اللُّغة العربيّة,سوريا ؛ dr.boudor.alzayya@gmail.com
دكتوراه في اللُّغة العربيّة

| تاريخ التسلّم | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
| --- | --- | --- |
| ٢٠٢٣/٢/١ | ٢٠٢٣/٢/٢٧ | ٢٠٢٣/٣/٣١ |

المجلــد (١٣) العــدد (٢٥)
رمضان ١٤٤٤هـ–آذار٢٠٢٣م

DOI:
10.55568/t.v13i25.109-134

CC BY NC

**مُلَخَّصُ البحْث:**

كان علم النحو وما يزال أساس علوم العربيّة، كما أنّه ضروري لجميع العلوم ولكلّ مؤلّفٍ ومدرّسٍ، والمختصون بالعربيّة يعنون بالنحو نظرياً كما يعنون به تطبيقاً، وعنايتهم التطبيقية تفوق عنايتهم النظرية وتتجاوزها، ويقترن النحو بالمعنى لتتحصل به الفائدة ولا يتمّ ذلك إلّا ضمن التركيب، فالتركيب هو ترتيب وتنظيم الكلام، إذن هو يهتم بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة مع انسجامها التامّ لتتلاءم وتولّد معاني جديدة.

والأسلوب هو القالب الذي تصبّ فيه التراكيب التي تستمد قوتها وتميزها من التزام المتكلّم بالمعايير اللّغوية واعتماده على قدرته الخاصّة بلحاظه ملكة اللسان العربي، وبما أنّ الأسلوب هو القالب فلا بدَّ أن يكون لكلّ شخص قالبه المجهز وفقاً لقوانين اللُّغة التي تجعل الخطاب الأدبي الفنيّ مزدوج الوظيفة والغاية، يؤدّي ما يؤديه الكلام عادة من وظيفة تواصلية.

لقد تجسّدت في خطب وحكم الإمام الحسن ﷺ بلاغة اللُّغة التي تجلّت فيها الدقّة والمعاني وفكرة انتقاء الألفاظ الدالّة على المعاني المتعدّدة، وسنبين في بحثنا تلك البلاغة والفصاحة في ضوء تحليلنا اللغوي النحويّ لبعض حكم الإمام الحسن ﷺ ومواعظه.

**الكلمات المفتاحية:** نحو، تركيب، اللُّغة، ألفاظ، اللسان العربي، الفصيح، المعاني، التركيب النحوي، التركيب الدلالي، دلالات.

# Syntactic Structures in Imam Al-Hassan Speech (Semantic Syntactic Study)

Badur Abidalrahaman Al-Zyat[1]

1 University of Al-Furat / College of Arts / Dept of Arabic , Syria;

dr.boudor.alzayya@gmail.com

PhD in Arabic Language

| Received: | Accepted: | Published: |
|---|---|---|
| 1/2/2023 | 27/2/2023 | 31/3/2023 |

DOI: 10.55568/t.v13i25.109-134 | Volume (**13**) Issue (**25**) | Ramadan 1444 H March 2023

CC BY NC

**Abstract** :

The science of grammar was and still is the basis of the sciences of Arabic, as it is necessary for all sciences , for every author and teacher. Those who are specialized in Arabic care about grammar in theory as well as they mean it in practice, their applied concern exceeds their theoretical concern and exceeds it.

Syntax is associated with the meaning in order to obtain the benefit from it, and this is only done within the framework of the syntax.

Syntax is the arrangement and organization of speech, so it is concerned with studying the relationships within the sentence system with its complete harmony to fit and generate new meanings.

Style is the mold into which structures are poured and derives their strength and distinction from the speaker's commitment to linguistic standards and his reliance on his own ability to be considered the queen of the Arabic tongue. Since the style is the template, each person should have his own template prepared according to the laws of the language that make it artistic literary discourse to have a dual function and purpose. It performs the communicative function that speech usually performs.

Many of the eloquence acts in the language are embodied in the sermons and decisions of Imam Al-Hassan, peace be upon him, in which accuracy, meanings, and the idea of selecting expressions indicating multiple meanings were manifested.

In the paper , it is to show the rhetoric and eloquence through our linguistic and grammatical analysis of some of the rulings and sermons of Imam Hassan, peace be upon him.

**Keywords:** grammar, structure, language, expressions, Arabic tongue, eloquent, semantic structure.

**أسباب اختيار البحث:**

-رغبةً مني في دراسة التراكيب التي تُعَدُّ من الدراسات النحوية والبلاغية المهمّة كونها ذات بُعد فكري عميق لما فيها من الجمع بين النحو والبلاغة.

- لأنّها دراسة جادّة وجديدة لمواءمتها الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية الحديثة.

-بيان بلاغة أحد أعمدة أهل البيت ﷺ، وذلك بإضافة جهد متواضع إلى جهود السابقين في دراساتهم المتنوعة.

-استخلاص ملامح اللسان العربي للإمام الحسن ﷺ والوقوف على عناصر ترابطها التي حفظت له فهمه وأبقت له أثره باستمالة العقول، التي كانت سلاح منهجه الإصلاحي، وتوجيه النفوس على الرغم من تنوّع أنماط المخاطبين واختلافهم عبر الأزمنة.

**هدف البحث:**

تحليل التراكيب النحوية عند الإمام الحسن ﷺ في بعض الحكم والمواعظ من كتاب **"تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام"** وفق سياق الكلام المتضمّن مستوى التركيب النحويّ والمستوى البلاغيّ وبيان آليّة الترابط بينهما في تركيب وتعزيز أواصر العلاقات التي يتألّف منها الأمر الذي ساعد على بقاء قوتّه التأثيرية في نفوس المخاطبين.

**منهج البحث:**

المنهج المتّبع فيه وصفي تحليلي.

**خطّة البحث:**

يتضمّنُ البحث ملخصًا وتمهيدًا وفصلين وخاتمةً، أمّا المبحث الأوّل (النظري) فقسمته على محورين، عرضْتُ في الأوّل تعريفاً للتركيب لغةً واصطلاحاً، والثاني بحثت فيه عن شخصية الإمام الحسن ﷺ اللغوية ومنابع ثقافته، وأمّا المبحث الثاني (التطبيقي) فأجريت دراسة تحليلية وصفية (نحوية -دلالية - بلاغية) لبعض المواعظ والحكم التي قالها الإمام الحسن ﷺ، وخصصتُهُ للحديثِ عن المواضيع الآتية: (الشرط، الاستفهام، الأمر، النهي، النفي، النداء، التحذير، التعجب، الاستثناء، الصلة والموصول، استعمال لفظة (إحدى)، حرف الجواب

"نعم"، أدوات العطف "الفاء، الواو، أو"، حروف النصب، حروف التوكيد والربط "حتى، بل") والمشتقات والجموع والبلاغة، أمّا الخاتِمَةُ فقد عرضتُ فيها أهمَ النتائجِ التي خلص إليها البحث، وختمت البحث بثبتٍ من المصادر والمراجع التي أعانتني في هذه الدراسة.

**تمهيد:**

أوّل ما يأخذنا تفكيرنا عندما نقرأ كلمة النحو إلى معنى الإعراب، ونغفل عن عنايته بأمور أخرى أراها بتصوري على أهمية كبيرة إلى جانب الإعراب والبناء، فدراسة النحو على أساس المعنى فيه من اللذة تفوق لذّة الإعراب ومحاكاته العقلية، حين ننظر إلى التركيب أو التعبير ونبحث عن دلالته المعنوية ضمن بوتقة من المعاني الكثيرة الدقيقة والمناسبة لكل موضع، ونحاول تطبيق هذا الوجه أو ذاك حسب ما يقتضيه المعنى نشعر بالمتعة، فلا يصحّ الكلام من دون المعنى، ومن هنا جاءت الأوجه النحوية التي ألّف فيها النحويون مئات الكتب والتي لها دلالات بلاغية متعدّدة يقتضيها سياق الكلام، ومثال ذلك الفرق في المعنى بين (ما) و(ليس) اللتين تنفيان الجنس على سبيل الاستغراق في قولنا (لا أحدَ في الدار- ما من أحدٍ في الدار)، وبين (ما) و(إن) النافيتين نحو قوله تعالى﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف ٩]، ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[الأعراف ١٨٨]، والفرق بين (ليس- ما- إنْ) في قولنا (ليس زيدٌ حاضراً- ما زيدٌ حاضراً- إنْ محمّدٌ حاضراً)، وبين (لام التعليل) و(كي) التي بمعنى اللام (جئت لأراك-جئت كي أراك)، وبين واو الحال من ناحية ذكرها وحذفها نحو (أقبل زيدٌ وهو يضحك)، والفرق بين مجيء فعل الشرط وجوابه ماضياً أو مضارعاً،أو من ناحية ارتباط جوابه بفاء الشرط نحو(إن تدرس تنجح- إن درست تنجح، إن تدرس فالنجاح حليفك)، والفرق بين (رُبّ) وواو (رب) نحو(رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك-وأخٍ لك...)، والفرق بين (إلّا) أداة الاستثناء و(غير-سوى) نحو (جاء الطلاب إلاّ حقائبهم- جاء الطلاب غير أو سوى حقائبهم)، والفرق في قولنا (جئتُ شوقاً لك- جئتُ لشوقي لك)، وبين حروف الجواب (نعم-أجل- بلى - بجل)[١][٢]، لا يوجد شيءٌ عبثي فلو رتبنا

١ السامرائي، فاضل صالح, معاني النحو, ط٣ (الاردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠٠٨), ٧-٦-٥.
٢ صالح، فاضل, الجملة العربيّة والمعنى, ط ١ (عمان، الأردن: دار الفكر, ٢٠٠٧).

كلمات ليس بينها ترابط يؤدّي إلى إفادة أي معنى لم يسمَ كلاماً، إذًا لا بدّ أن تؤدّي المفردة أو الكلمة معنى كي لا يصبح رخيصاً ومبتذلاً وغيرَ مقبول.

هذا بالضبط ما سرت به في بحثي التحليلي للتراكيب النحوية وتبيان دلالاتها البلاغية، فالتركيب النحوي علم يهتم بمعرفة وتفسير خصائص العبارات اللغوية مع ربطها لتحقيق مآربها وأغراضها التواصلية، وقد جاء الدرس اللسانيّ الحديث بمفاهيم جديدة حول اللسانيات ومستوياتها النحوية منها والتركيبية، وكلّه يصبّ في بوتقة واحدة إذ لا معنى لأيّ مفردة دون أخرى، فالتركيب بعد ضمِّ اسم إلى اسم أو فعلٍ إلى اسم يلتحمان ليكوّنا كلاماً مفيداً يؤدّي وظيفته الاتّصالية ويقبله المتلقّي، وممّا لا شك فيه أن هذا الدرس لن يكون له شأن إذا لم يرجع أصحابه إلى الخليل وحاولوا أن يفهموا ما رمى إليه من تعليلات لظواهر اللُّغة ثم الرجوع إلى كتاب سيبويه وشروحه، وإلى علماء أدركوا مقاصده كابن السراج والفارسيّ والكسائيّ وابن جنّيّ والسيرافيّ والرضيّ الاستراباديّ، فاللُّغة ظاهرة محدّدة تشكّل منظومة كليّة يستخدمها أفراد ينتمون إلى مجموعة لغوية واحدة، والكلام هو الانعكاس المباشر للغة، والخطاب هو كل الأغراض والأدوات النحوية المكوّنة للنصّ، وهو السياق الذي يتشكّل فيه النص ويتبلور، وبتكويناته المختلفة يعمل على توجيه الروابط التركيبية، والوظائف الاتصالية للتراكيب النصية وتعدّد الدلالات، وانطلاقاً من هذه المفاهيم بدأ الدارسون المحدثون بتطبيق هذه التوجهات في دراساتهم على القرآن الكريم، ثمّ على الشعر، ثمّ على النثر، إذ لابد من أن يعتمدوا على التراث العلميّ القديم الضخم الذي وجد في علوم اللُّغة العربيّة وحدها، وأيضاً لقناعتهم على أنّ اللُّغة المتضِّمنة للخطاب القرآني لغة معيارية، فكانت هدفاً بارزاً للدراسات والأبحاث اللغوية وفق المناهج الحديثة، كنظرية التلقّي والخطاب والحجاج في الخطاب القرآني.

وأمّا الدراسات المطبقة على النصوص القديمة ومنها الخطب والمواعظ والحكم وفق منهج تحليل التراكيب النحويّة وما تؤدّيه من معانٍ بلاغية فهي قليلة، ولعلّ هذه التجربة المتواضعة بالبحث في هذا الموضوع تمثّل خدمة بسيطة لتبيان فصاحة وبلاغة اللسان العربي

الـذي تمتّـع بـه أهـل البيـت ومنهـم الإمـام الحسـن عليه السلام ويبـيّن قـوة خطابتـه، بالتركيـز عـلى كونـه فعـلاً تواصليـاً حيّـاً، مـن دون التقليـل مـن أهميـة كونـه نصًّـا مدوّنـاً، وأهميـة دراسـته ضمـن مجالـه النـصّيّ، حيـث النـصّ هـو وسـيلة لبلـوغ مفهـوم الخطـاب.

وفي البدايـة لا بـدَّ أن أعـرّج إلى مفهـوم معنـى التركيـب وعلاقتـه بالنحـو ومـدى ارتباطهـما ببعضهـما البعـض.

**المبحث الأول (النظري).**

أولاً.. مفهوم التركيب (لغةً واصطلاحاً):

التركيب **لغةً**:

قال ابن منظور: "ركّبَ الشيءَ وضعَ بعضه على بعض، وقد تركّب وتراكب" [٣].

وقال الفيروز آبادي: "ركّبه تركيباً وضع بعضه على بعض فتركّب وتراكب" [٤].

وجـاء في المعجـم الوسـيط: "تراكـب الأمـر: تراكـم، ركـب بعضـه بعضـاً، وتركّـب: تشـكّل وتألّـف، وضـع بعضـه عـلى بعـض، والتركيـب: التأليـف والتكويـن، جمـع أجـزاء الـشيء وتثبيتهـا في موقعهـا" [٥].

**اصطلاحاً**:

قال الفارسي في باب(باب ما إذا ائتلف من هذه الكلم الثلاث كان كلاماً مستقلاً): "الاسم يأتلف مع الاسم، فيكون كلاماً مفيداً كقولنا: (عمرو أخوك، وبشر صاحبك)، ويأتلف الفعل مع الاسم فيكون كذلك كقولنا: (كتب عبد الله، وسر بكر- زيد في الدار)، ويدخل الحرف على كل واحد من الجملتين فيكون كلاماً كقولنا: (إنّ عمراً أخوك، وما بشر صاحبك، وهل كتب عبد الله، وما سرّ بكر، ولعلّ زيداً في الدار)، وما عدا ما ذكر ممّا يمكن ائتلافه من هذه الكلم فمطرح إلّا الحرف مع الاسم في النداء نحو: يا زيد، ويا عبد الله. فإنّ الحرف والاسم قد ائتلف منهما كلام مفيد في النداء" [٦].

---

٣ ابن منظور, محمد بن مكرم, لسان العرب, ط٣ (بيروت: دار صادر, ٢٠٠٤), /٦٢١٢-٢١١.

٤ آبادي ,الفيروز مجد الدين محمّد بن يعقوب, القاموس المحيط, يوسف الشيخ محمّد البقاعي, د.ط. (لبنان – بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٩), ٩٩.

٥ سيد أحمد ,ناصر, د.محمد مصطفى , أدرويش محمد , أ عبد الله ايمن, المعجم الوسيط, ط١ (لبنان – بيروت: دار إحياء التراث العربي, ٢٠٠٨), ١٢٢-١٢٠.

٦ , أبو علي, الإيضاح العضدي. حسن شاذلي فرهود (السعودية: جامعة الرياض, ١٩٦٩).

نستخلص من الكلام السابق أنّ التركيب عكس التحليل، فالتركيب هو ترتيب وتنظيم الكلام مع بعضه، فالكلمة هي اللفظة المفردة في التركيب وهي اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ، فهي المعنى العام للكلام، والكلام هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، ويضمّ اسمين أو اسماً وفعلاً ، ففي قولنا: (ارتجلَ الإمامُ كلمةً بليغةً) كلاماً وكلماً مفيداً، والقول لفظ عام يشمل كل ما تقدّم، وكلّه ينحصر ضمن معنى التركيب النحويّ.

**ثانياً**.. منابع ثقافة الإمام الحسن اللغوية[٧] [٨] [٩]:

كان لكلّ من أئمة أهل البيت عليهم السلام منهجه الذي يوافق عصره والظروف التي استطاع أن يهيىء لها ويستثمرها لما يخدم صحّة منهجه الإصلاحي، وكلّ ظاهرة من ظواهر الكمال الجسمية واللغوية تمثّلت في كلام الإمام الحسن عليه السلام وتحلّى بها لسانه، فضلا على شخصيته الكريمة التي تجسّدت فيها حقيقة الإسلام بما يحمله من فضائل وتواضع وأخلاق وكرم وإيثار وغيرها من الصفات النبيلة التي ذكرها المؤرخون في كتبهم، وقد امتاز بالبلاغة والفصاحة في الكلام فكان من أبرع البلغاء في إصابته للمناسبات، ومن أروعهم إيجازاً وإبداعاً في الكلام، كيف لا يكون كذلك وقد تفرّع من دوحة الفصاحة والبلاغة وإرادة المعنى وفصل الخطاب فجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد، وأبوه علي عليه السلام سيد البلغاء وأمير البيان، وأمّه السيدة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذن نشأ في أجواء تسودها المحبة والاهتمام والعناية والرعاية الفائقة من لدن جدّه وأبيه وأمه، وكان لتلك النشأة الأثر الأكبر في منطق الإمام الحسن وقوّة شخصيته وسديد حججه وكلامه.

فنسبه الأصيل وحسبه الشريف وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة وابن أمير المؤمنين وابن سيدة نساء العالمين عليهما السلام، وشبهه الكبير خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقاً بجدّه المصطفى، كلّ ذلك أظهر أدبه الجمّ ونباهته وفطنته وخشيته من الله تعالى .

أيضاً علمه المتوارث عن جدّه وأبيه وأمّه عليهم السلام جميعاً لاسيّما المعرفة الدقيقة بالقرآن الكريم جعلته يستشهد بالقرآن الكريم في معظم أقواله وخطبه ونصائحه وحكمه ووصاياه ومواعظه ورسائله.

٧ الشاكري, الحاج حسين, سيرة الإمام الحسن عليه السلام, ط ١ (قم المقدسة: مؤسسة بلاغ المبين, ١٤٢٠), ١١.
٨ الشريف الرضي, نهج البلاغة, شرح. محمّد عبده, ط١ (بيروت – لبنان: مؤسسة المعارف, ١٩٩٠), ١١-١٠.
٩ الشاكري, سيرة الإمام الحسن عليه السلام ,٢٥-٢٠ .

والحسن عليه السلام كأبيه من حيث فصاحته وبلاغته في الكلام ومعرفته بأدوات الحجج والإقناع فقد ترك عليه السلام أثراً رفيعاً وحِكَماً بالغة تحتوي على أصول الآداب الاجتماعية والنصح والإرشاد والوعظ الخالد، وقد تزيّنت في سمو اللفظ وارتقاء المعنى.

**المبحث الثاني (التطبيقي).. دراسة التراكيب النحوية لبعض حكم الإمام الحسن عليه السلام :**

ويشمل الموضوعات الآتية: (الشرط، الاستفهام، الأمر، النهي، النفي، النداء، التحذير، التعجب، الاستثناء، الصلة والموصول، استعمال لفظة (إحدى)، حرف الجواب "نعم"، أدوات العطف "الفاء، الواو، أو"، حروف النصب، حروف التوكيد والربط "حتى، بل")، وكثرة المشتقات، والجموع، وألوان والبلاغة العربيّة.

*أقوال الإمام الحسن عليه السلام من كتاب تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله:

-قال عليه السلام: (العارُ أهونُ من النارِ).

-قال عليه السلام: (ما أعرف أحداً إلاّ وهو أحمق فيما بينه وبين ربهِ).

-قال عليه السلام: (الخيرُ الذي لا شَرَّ فيه، الشكرُ مع النعمة والصبرُ على النازلة).

-قال عليه السلام: (ما تشاور قومٌ إلّا هدوا إلى رشدهم).

-قال عليه السلام: (القريب مَنْ قرّبته المودة، وإن بَعُدَ نسبه، والبعيد مَنْ باعدته المودة، وإن قرب نسبه، لا شيءَ أقربُ من يدٍ إلى جسد، وإنَّ اليدَ تفلُ فتقطعُ وتحسمُ).

-قال عليه السلام: (اللؤم أنْ لا تشكرَ النعمةَ).

-قال عليه السلام لبعض ولده: (يا بُنَيَّ لا تؤاخِ أحداً حتى تعرفَ موارده ومصادره فإذا استنبطت الخبرة، ورضيت العشرة، فآخِهِ على إقالة العثرة والمواساة في العسرة).

-وقال عليه السلام: (إيّاكَ أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك أو تكذّبني فإنّه لا رأيَ لمكذوب أو تغتابَ عندي أحداً، فقال له الرجل: ائذن لي في الانصراف، فقال عليه السلام: نعم، إذا شئت).

- قال عليه السلام: (من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمانٍ: آيةً محكمةً، وأخاً مستفاداً وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على الهدى أو تردّه عن ردى، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً).

- قال ﷺ: (إذا ولد لأحدكم غلامٌ فأتيتموه فقولوا له شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، بلغ الله به أشدّه ورزقك برّه).

-وسئل عن المروءة فقال ﷺ: (شُحُ الرجلِ على دينه، وإصلاحه ماله، وقيامه بالحقوق).

-وقال ﷺ: (إنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه، وأسمع الأسماع ما وعى التذكير وانتفع به، أسلم القلوب ما ظهر من الشبهات).

-قيل له: فيك عظمة، فقال ﷺ: بل فيَّ عزّة، قال الله تعالى:﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

-وقال ﷺ: (مَنْ اتّكل على حسن الاختيار من الله، لم يتمنَّ أنّه في غير الحال التي اختارها الله له).

-وقال ﷺ: (إذا لقي أحدكم أخاه فليقبل موضع النور من جبهته).

-قيل للإمام الحسن ﷺ (ما الإخاء؟ قال: الإخاء في الشدّة والرخاء).

-قال ﷺ: (اتقوا الله عباد الله وجدّوا في الطلب وتجاه الهرب، وبادروا العمل قبل مقطعات النقمات وهادم اللذات فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجيعها، ولا تتوقى في مساويها، غرور حائل، وسناد مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنعيم، وانتفعوا بالمواعظ فكفى بالله معتصماً ونصيراً، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً).

إن من ينعم النظر في هذه الأقوال والحكم يلحظ مدى دقّة استعمال الإمام الحسن ﷺ للّغة وأدواتها وأساليبها كالشرط والتعجب والنداء وأدوات النفي والجزم، والمشتقّات والأفعال بأنواعها، وأدوات الربط والعطف والوصل وحروف التوكيد والأمر والجواب، سآتي إلى ذكرها وتحليلها وفق موقعها من السياق:

**١ - أسلوب الشرط** معناه أن يقع الشيء لوقوع غيره، أي أن يتوقف الثاني على الأوّل، فإذا وقع الأوّل وقع الثاني وهذا هو الأصل [١٠] [١١]، بالنسبة لفعل الشرط يأتي ماضياً ومضارعاً وقد جاء فعل الشرط في قول الإمام الحسن ﷺ بصيغة الماضي وجوابه أيضاً ( مَنْ أدامَ أصابَ - إذا ولد فقولوا)، وإن استعمال الفعل الماضي في الشرط للدلالة على المستقبل هو أمر غير

١٠ محمّد بن يزيد بن عبد الله المبرد, المقتضب, إعداد حسن حمد, ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٩), ٤٦/٢.
١١ بدر الدين بن أبي عبد الله الزركشي, البرهان في علوم القرآن, ط ١ (بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٧), ٣٥٤/٢.

مختص باللُّغة العربيّة وحدها بل في كثير من اللغات السامية، غير أن العربيّة تستعمل الماضي والمضارع للشرط والجواب، وقد ذهب النحويون إلى أنَّ القصد من مجيء الشرط ماضياً وإن كان معناه الاستقبال هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن وغير الواقع منزلة الواقع، وهذا ما فسّروا به التعبير عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية في غير الشرط أيضاً[١٢] ، ومن أدوات الشرط التي استعملها الإمام الحسن ﷺ (مَنْ) في قوله: (من أدام أصاب، ومن اتّكل لم يتمنَّ) وتكون شرطاً للعاقل وتجزم فعلين، و(إذا) قال سيبويه: إنَّ (إذا) تجيء وقتاً معلوماً[١٣]، الأصل فيها أن تكون للمقطوع بحصوله وللكثير بحصوله[١٤]، وقد وردت هنا (إذا استنبطت فآخه- إذا لقي أحدكم أخاه فليقبّل) للكثير حصوله لأنَّ لقاء الأخ يكون كثيراً، وأيضاً جاء بالفاء الرابطة لجواب الشرط معها دون غيرها لأنّها "أفادت السبب عموماً في الشرط"[١٥]، وهنا جاء الجواب جملة فعلية فعلها طلبي دالاً على الحال، ومثلها قوله ﷺ: (إذا ولد فقولوا له شكرت الواهب) فالشكر لله على كلّ شيء من دوام الحال وهذا كثير.

**٢-وأسلوب الاستفهام** هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فحصوله هو التصديق، وإلا فهو التصّور، فهو إذن طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بواسطة واحدة من أدواته، ومن الأدوات التي وردت في قول الإمام الحسن ﷺ **(الهمزة)** وهي أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً، فتأتي للتصوّر والتصديق فالتصوّر هو ما يجاب عنه بالتعيين كقولنا: أمحمّدٌ عندك أم خالدٌ فتجيب محمّد مثلاً أو خالد، والتصديق هو ما يجاب عنه بـ نعم أو لا، بخلاف أدوات الاستفهام الأخرى، فإنّها تستعمل للتصوّر فقط، وقد تخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى أشهرها: التسوية والإنكار والتقرير والتهكم والأمر والتعجب إلى غير ذلك من المعاني"[١٦]، ويجوز حذفها إذا فهم المعنى ودلَّ عليها قرينة في الكلام، وقد جاءت في قول الإمام الحسن ﷺ: "ائذن لي في الانصراف؟ فقال ﷺ: نعم إن شئت"، جاءت الهمزة دالة على الاستفهام في المعنى، ومعناها التصديق وقد أجيب عنها بـ نعم.

١٢ صالح, معاني النحو ,٤٧/٤ .
١٣ عمرو بن عثمان بن قنبرالحارثي سيبويه, الكتاب, هارون، عبد السلام محمّد, ط٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي, ١٩٨٨), ٤٣٣/١.
١٤ فاضل صالح السامرائي, معاني النحو, ط٢ (الاردن: دار الفكر, ٢٠٠٣), ٦١/٤.
١٥ السامرائي, ٩١/٢.
١٦ المالقي, أحمد بن عبد النور, رصف المباني في شرح حروف المعاني . أحمد محمّد الخراط, ط٣ (دمشق: دار القلم , ٢٠٠٢), ٢٠٠/٤-٢٠١.

**و(ما)** تكون للسؤال عن ذوات ما لا يعقل وأجناسه وصفاته، وللسؤال عن صفة من يعقل، فمن الأوّل قولنا (ما عندك؟ فيقال: كتاب)، وتقول (ما في الدار؟ فيقال: ثعبان أو فرس)، وتقول (ما لونه؟ فيقال: أسود) [١٧] [١٨]، وقد تكون لصفات من يعقل كأن تقول: (ما زيدٌ؟ فيقال: كاتب أو شاعر)، وقد تكون للسؤال عن حقيقة الشيء كقوله تعالى ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ**﴾[ الفرقان٦٠]، وإذا جُرَت حذفت ألفها كقوله تعالى ﴿ **فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا**﴾[النازعات٤٣] ،وقد تخرج (ما) عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى منها (التعظيم والتفخيم والتحقير والحثّ والإنكار والإلزام والاستبعاد وغير ذلك[١٩]،وفي قول الإمام الحسن ﷺ جاءت للسؤال عن حقيقة الشيء (سئل ﷺ ما الإخاء؟ قال: الإخاء في الشدّة والرخاء) وخرجت إلى معنى الحثّ والإلزام.

**٣-صيغة الأمر**: هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء بصيغة مخصوصة وصيغته (افعل) ويتّخذ الأمر عدة صيغ منها **فعل الأمر** ويكون بحذف المضارعة من الفعل المضارع ولا يكون بصيغته المعلومة إلّا للمخاطب كقول الإمام ﷺ: (فإذا استنبطت الخبرة فآخِه)، وأمّا غير المخاطب فيؤمر باللام كقول الإمام الحسن ﷺ (فليُقبّل)، وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى المجاز، ومن أشهر معانيه: (الإباحة والدعاء والتهديد والتوجيه والإرشاد والإكرام والإهانة والاحتقار والتسوية والامتنان والعجب والتكذيب والتعجيز .....) إلى غير ذلك من المعاني[٢٠]، وقد ورد في قول الإمام الحسن ﷺ (اتقوا-جدّوا-بادروا-اتعظوا-اعتبروا-ازدجروا-انتفعوا) بمعنى التوجيه والإرشاد، والأمر يدلّ على مستقبل أبداً لأنّه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾[ الأحزاب١] ،وهذا على رأي النحويون.

**٤-صيغة النهي**: وهو طلب الكفِّ عن الفعل استعلاءً، للنهي صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقرون بـ (لا) الناهية، وعندما تدخل على الفعل المضارع لا تقيده بزمن على الأرجح،

١٧ المبرد, المقتضب, ٥٢/٢ .
١٨ الزركشي, البرهان في علوم القرآن, ٤٠٢/٤ .
١٩ صالح, معاني النحو ,٢٢٦/٤-٢٢٥ .
٢٠ صالح, ٢٧/٤-٢٦.

وإن كان النحويون يرون أنّها تخلّصه للاستقبال، والحقّ أنّها قد تكون للحال[٢١]، وقد وردت في كلام الإمام الحسن ﷺ (لا تؤاخِ) فـ "لا" هذه تخلّص الفعل المضارع للاستقبال، وقد يخرج النهي إلى دلالات بلاغية أخرى كالدعاء والالتماس والتهديد والإرشاد والدوام والتمنّي والتحقير والتوبيخ والائتناس وغير ذلك... وقد خرجت بلاغياً في قوله ﷺ إلى معنى الإرشاد.

**٥-النفي**: ويكون بعدة أدوات منها:

**النفي بـ(لا)**: ويأتي أيضاً حرف نفي لا هو أقدم حروف النفي في العربيّة[٢٢]، تدخل على الأسماء والأفعال وعند دخولها على الأسماء تكون على أنواع فهي في قول الإمام الحسن ﷺ: (الخيرُ الذي لا شرَّ فيه) "لا" النافية للجنس وقد أفادت التنصيص على نفي الجنس والتوكيد، وهي في قوله ﷺ: (لا رأيٌ لمكذوب) العاملة عمل (ليس) وفي قوله ﷺ أيضاً: (لا شيءٌ أقرب) غير العاملة أصلاً وتفيد التوكيد، وتدخل "لا" على الفعل المضارع فتنفيه فقط،ولا تقيده بزمن فهي إمّا أن تخلصه للاستقبال، أو تكون للحال، أو للاستمرار[٢٣]، وقد دلّت في قول الإمام الحسن ﷺ: (لا يدومُ-لا تؤمنُ-لا تتوقّى) على الاستقبال.

**النفي بـ(ما)**: تنفي (ما) الجمل الإسمية والفعلية، وإذا دخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع فإنّها تكون للحال كثيراً كقول الإمام الحسن ﷺ: (ما أعرفُ أحداً إلاّ وهو أحمق بينه وبين ربّه)، فقد خلصت الفعل "أعرف" للحال، وإن كانت الجملة الفعلية فعلها ماضٍ فإنّها عند ذاك تكون لنفي الماضي القريب من الحال كقول الإمام الحسن ﷺ: (ما تشاورَ قومٌ إلاّ هدوا إلى رشدهم) [٢٤ ٢٥].

**النفي بـ(لم)**: تدخل على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع فتنفيه وتجزمه وتقلب زمنه إلى المضي، وهي لنفي (فعل)[٢٦] فإن قلنا (حضر محمّد) فإنَّ نفيه (لم يحضر)، وقد يكون النفي منقطعاً أي انتفى حدوث الفعل في وقت ما ثمّ انقطع النفي وذلك نحو قولنا: (لم يحفظ

٢١ صالح, ١٧٧/٤.
٢٢ برجشتراسر, التطور النحوي للغة العربيّة, ط١ (مصر: مكتبة الخانجي بالقاهرة, ١٩٢٩), ١١٥.
٢٣ صالح, معاني النحو, ١٧٧/٤ .
٢٤ سيبويه, الكتاب ,١ /٤٦٠ .
٢٥ صالح, معاني النحو ,١٦٥/٤-١٦٤ .
٢٦ سيبويه, الكتاب ,٤٦٠/١ .

محمّد القصيدة أمس وإنّما حفظها اليوم)، وقد يكون النفي متّصلاً إلى زمن المتكلم نحو قولنا (لم يعد خالد من سفره إلى اليوم) وقد يكون مستمراً لم ينقطع ولا ينقطع[٢٧]، وذلك كقوله تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص٣-٤ ]، وقد وردت في قول الإمام الحسن ﷺ (لم يتمنَّ) فالنفي مستمر لم ينقطع ودلّ على التجدّد والاستمرار.

٦-**أسلوب النداء**: فالمنادى هو المطلوب إقباله بحرف نداء ظاهر أو مقدر ناب عن الفعل أدعو، وقد أدخله البلاغيون في صيغ الإنشاء الطلبي، ومن أدواته (يا) إنَّها في الحقيقة للقريب والبعيد لأنَّها لطلب الإقبال مطلقاً[٢٨]، وقد ينادى القريب بما هو للبعيد كما في قول الإمام الحسن ﷺ (يا بُنيَّ) مع أنّه قريب منه، وذلك للزيادة في التنبيه والتقريع، "ويجوز حذفها وذلك لأغراض عديدة وخصوصاً في الكلام الفني كالخطب والمواعظ والحكم وذلك إما للعجلة والإسراع بقصد الفراغ من الكلام بسرعة، وإما للإيجاز، وإمّا لقرب المنادى من المنادي" [٢٩]، وقد جاء محذوفاً في قول الإمام الحسن ﷺ (عباد الله)، وذلك للإيجاز؛ لأن المقام قد يكون مقام إيجاز واختصار لا تبسيط وإطالة.

٧-**أسلوب التحذير**: فالتحذير تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه ويكون بذكر المحذِّر مع المحذِّر منه، أو ذكر المحذر منه مكرّراً أو غير مكرّر، وقد ورد في كلام الإمام الحسن ﷺ (إيّاك أن تمدحني) بذكر المحذِّر والمحذِّر منه، فقد حذر المخاطب من عقوبته أو الإيقاع به إذا لم يلتزم بالتحذير، و(إيّا) بدلاً من الفعل (احذر) الواجب الحذف في هذه الصيغة، وقد استعمل الإمام الحسن ﷺ هذه الصيغة؛ لأنَّ التحذير بها هو منع عام بصيغة التبعيد المطلق، في حين أن التحذير بالفعل (مقيّد) بمعنى ذلك الفعل، "فقولنا (احذر) مقيّد بفعل التحذير" [٣٠].

٨-**أسلوب التعجب**: للتعجب عبارات كثيرة في العربيّة غير منحصرة، وهو على قسمين: سماعي كقولنا (سبحان الله)، وقياسي وله صيغتان (ما أفعله-وأفعل به)، ومن العبارات

٢٧ صالح, معاني النحو ,١٦٣/٤ .
٢٨ صالح, ٢٧٧/٤.
٢٩ صالح, ٢٨٠/٤-٢٧٩-٢٧٨.
٣٠ صالح, ٩٧/٢-٩٦.

التي جاءت في كلام الإمام الحسن ﷺ والتي أحسن اختيارها (كفى) وتأتي للتعجب وذلك إذا زيدت الباء على مرفوعها، وسبب زيادة الباء في فاعلها لتضمّنه معنى (اكتفِ)وهو معنًى قريب من معنى التعجّب فقال ﷺ: (كفى باللهَّ معتصَماً ونصيراً، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً) والمعنى يكفيك [٣١].

**٩-أسلوب الاستثناء**: يحدّه النحويون بأنّه هو الإخراج بـ إلاّ أو إحدى أخواتها لما كان داخلاً أو منزلاً منزلة الداخل [٣٢]، غير أنَّ العربيّة اتّسعت فيه وفي أدواته اتّساعاً لا تماثله فيه سائر اللغات السامية، جاء في التطور النحوي: (وقد وضعت العربيّة القواعد الدقيقة للاستثناء وأكثرت من حروفه وفرّقت بينها في بعض الأحوال فصار الاستثناء فيها باباً مستقلاً بنفسه، لا يماثلها فيه إحدى سائر اللغات السامية) [٣٣]، وقد ورد في كلام الإمام ﷺ: (ما أعرف أحداً إلاّ وهو أحمق- ما تشاور قومٌ إلّا هدوا) هذا النوع من الاستثناء مفرغ يفيد القصر، والقصر هنا أعمّ وأشمل و النفي والاستثناء من أدواته، ففي الحكمة الأولى خرج القصر لغرض إرادة تخصيص المتقدّم بحكم يجهله المخاطب، وفي الحكمة الثانية القصر غرضه التوجيه والتعليم.

**١٠-أدوات الصلة والموصول** ومن الأدوات التي وردت في كلام الإمام الحسن ﷺ لفظتي (مَنْ- ما)، أمّا (**مَنْ**) فتختصّ باولي العلم سواء كانت موصولة أم استفهامية أم شرطية أم غير ذلك كقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ**﴾[ هود١١٢]، وهي تقع على المفرد والمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث حسب سياق الكلام [٣٤]، قال الإمام الحسن ﷺ: "القريب من قربته المودّة- البعيد من باعدته-وهو أحمق فيما بينه" فـ (من) اسم موصول بمعنى الذي للعاقل ودلّت على المفرد.

وأما (**ما**): قد تأتي اسماً موصولاً بمعنى الذي أو حرفاً مصدرياً، وتقع على ذوات ما لا يعقل كقوله تعالى ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا**﴾[ طه٦٩]، فما في يمنيه هي

٣١ صالح, ٢٥٣/٤-٢٥٢.
٣٢ صالح, ٢١٤/٢.
٣٣ برجشتراسر, التطور النحوي للغة العربيّة ,١١٧ .
٣٤ صالح, معاني النحو ,١٢١/١ .

العصا،و﴿**مَا صَنَعُوا**﴾هو أفاعيهم المتخيلة وهذا لغير العاقل، وتقع على صفات من يعقل كقوله تعالى : ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ**﴾[ النساء٣]، و(ما) مثل (من) تقع على المفرد والمثنّى والجمع، وقد وردت في كلام الإمام الحسن ﷺ لغير العاقل: "إنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه- وهو أحمق فيما بينه وبين ربه-أسلم القلوب ما طهر من الشبهات"، فـ (ما) اسم موصول بمعنى (الذي) ويقصد به العين البصيرة -في الأولى- وفي الثانية والثالثة جاءت صفة لغير العاقل، "و(ما) في معناها أوسع استعمالاً من (من) وأكثر إبهاماً"[٣٥]، وقال النحويون: "وبناء (ما) يوافق استعمالها المتّسع فإنَّ مدَّة الألف المتّسعة في آخرها تشاكل الاتساع في معناها، وأمّا (من) فهي مقيدة بالسكون، ولذا كان استعمالها مقيداً بـ أولي العلم" [٣٦]، ومعنى هذا الكلام أنّ (من) أصلها (ما) وهو الذي أيدته الدراسات الحديثة، جاء في التطور النحوي (إن "من" و"ما" أصلهما واحد، يعني (ما) وهو الذي أيدته الدراسات الحديثة، جاء في التطور النحوي (إن "من" و"ما" أصلهما واحد، يعني (ما) وألحقت بها النون، وهي من العناصر الإشارية أيضاً، وإن لم توجد في العربيّة بين أسماء الإشارة، فتدلّ (ما) على الأشخاص إذا وقعت مع هذا الحرف اللاحق وعلى الأشياء إذا وقعت بدونه[٣٧]،نلحظ دقة استعمال الإمام الحسن ﷺ كلٍّ منهما على حسب ما يقتضي المقام والوصف وهذا يدل على ضلوعه بهذه الدقائق اللغوية.

**١١- استعمال لفظة (إحدى)**: تدلّ الأبحاث الحديثة على أن لفظة (أحد) أسبق وجوداً من (واحد) في اللغات السامية وهي بمعنى الواحد، جاء في التطور النحوي (فـ"أحد" سامية الأصل وواحد مشتقة منها، ويقال للواحد المذكّر في العربيات الجنوبية "أحد"، وللمؤنث "إحدت"، وفي اللحيانية "أحد"، للواحد المذكر وإحدى للواحدة، وفي لغة النبط "حد" بمعنى "أحد" وبمعنى الأوّل والواحد)[٣٨ ٣٩]، فلفظة "أحد" أقدم من "واحد" غير أن العربيّة خصصت لكل منهما معنًى واستعمالاً، "فالفرق في المعنى بينهما معروف وهو أن العربيّة تميل

٣٥ سيبويه, الكتاب ,٣٠٩/٢ .
٣٦ صالح, معاني النحو ,١٢٣/١-١٢٢ .
٣٧ برجشتراسر, التطور النحوي للغة العربيّة ,٥٦-٥٥ .
٣٨ برجشتراسر, ٧٩.
٣٩ صالح, معاني النحو ,٢٣٨/٣-٢٣٧ .

دائماً إلى التخصيص، فاستفادت من وجود شكلين للكلمة فلم تستعملهما مترادفين، بل فرّقت بينهما وخصّصت كلَّ واحد منهما بمعنى ووظيفة[٤٠ ٤١]، إن لفظة (أحد) كما يرى النحويون يراد بها عموم العقلاء، تلزم الإفراد والتذكير وتقع بعد النفي، والنهي والاستفهام والشرط وفي غير الموجب عموماً[٤٢]، وقد وردت على لسان الإمام الحسن ﷺ في قوله (إحدى ثمان آية محكمة) فجاء بـ "إحدى" الدالة على المؤنث وأفادت العموم في النفي، وقد سُبقت بـ (مَنْ) الدالة على الاستغراق فأفادت التوكيد أيضاً، وقد أحسن الإمام الحسن اختياره لهذه اللفظة ، وجاء في لسان العرب: (وأمّا "وَحَد" التي هي أصل لـ "أحد"، فيوصف بها الإنسان وغيره، تقول "رجل وحد -ودرهم وحد"، بخلاف كلمة "أحد" فلا يقال "رجل أحد" ولا "درهم أحد"، فالإبدال كان لغرض أداء معنى جديد، واستعمال جديد )[٤٣].

**١٢- حرف الجواب (نعم)**: ومعناه التصديق والوعد والإعلام، فالتصديق يكون بعد الخبر، والوعد يكون بعد الأمر والنهي، أو مافي معناهما، والإعلام يكون بعد الاستفهام[٤٤ ٤٥]، وقد اجتمع معناها في قول الإمام الحسن ﷺ: (ائذن لي في الانصراف، فقال ﷺ: نعم، إذا شئت) فالإعلام كونها سبقت بهمزة استفهام محذوفة، والوعد كونها جاءت بعد الأمر أو النهي أو ما في معناهما كالتحذير (إيّاك)، وذلك من دقّة اختيار الإمام الحسن لمعنى حرف الجواب (نعم) دون غيره.

١٣- **أدوات العطف** وهي (الفاء- الواو - أو):

**(الفاء)** وهي من أدوات العطف تفيد الترتيب والتعقيب، ومعنى الترتيب أنّ المعطوف بها يكون لاحقاً لما قبلها، وأما التعقيب فمعناه أن وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بغير مهلة أو بمدّة قريبة[٤٦]، وقد وردت كذلك في قول الإمام الحسن ﷺ ( إذا ولد فأتيتموه- أئذن لي فقال)، نلاحظ نظم الألفاظ وترتيبها لتناسق المعاني فبلغ صاحبها مقصده وهي الفائدة.

٤٠ برجشتراسر, التطور النحوي للغة العربيّة ,٧٩ .
٤١ صالح, معاني النحو ,٣/ ٢٣٨ .
٤٢ صالح, ٢٣٨/٣.
٤٣ ابن منظور, لسان العرب ,٤٦٤/٤ .
٤٤ سيبويه, الكتاب ,٣١٢/٢ .
٤٥ صالح, معاني النحو ,٢٣٧/٤ .
٤٦ صالح, ٢٠٢/٣.

**(الواو)**:[٤٧] [٤٨]وهي لمطلق الجمع وقد تكون للعطف، وهي أم الحروف لكثرة استعمالها ودورها فيه، ومعناها الجمع والتشريك فتعطف مفرداً على مفرد أو جملة على جملة، وقد وردت بكثرة في أقوال الإمام الحسن ﷺ، فإن **عطفت مفرداً على مفرد** فإنّها تشترك بينهما في اللفظ والمعنى، ومن ناحية اللفظ فهو الإسمية أو الفعلية والرفع والنصب والخفض والجزم فيتّبع الثاني الأوّل، وأمّا المعنى فهو الجمع بين الاثنين في نفي الفعل أو إثباته، ومن أمثلته في كلام الإمام الحسن ﷺ: (أصاب إحدى ثمان آية محكمة وأخاً مستفاداً وعلماً مستطرفاً ورحمةً منتظرة وكلمةً)-(شحُ الرجل على دينه وإصلاحه ماله وقيامه بالحقوق)-(إنّ أبصر الأبصار وأسمع الأسماع)-(ما وعى التذكير وانتفع به)-(القريب والبعيد)، وهذه الواو في هذا المقام واسطة أوصلت عمل العامل قبلها إلى ما بعدها على معنى العطف والتشريك.

وإن **عطفت جملة على جملة** لم يلزم تشريكها في اللفظ ولا في المعنى، ولكن في الكلام ليعلم أنّ الكلامين أو أكثر في زمان واحد ومقصده واحد فجاز أن يعطف بها جملة خبرية على مثلها وعلى طلبية وبالعكس، وقد ورد ذلك في كلام الإمام الحسن ﷺ: (اتقوا الله وجدوا في الطلب وبادروا العمل)-( لايدوم نعيمها ولا تؤمن فجيعها ولا تتوقّى في مساويها)-(فاتعظوا واعتبروا بالأثر وازدجروا بالنعيم وانتفعوا باللهَّ) نرى أنّ كثرة التعاطف بها دلّ على مقصد واحد وفي زمان واحد فالمناسبة في الجمل هو الغالب والكثير، وقد تكون للحال ويجيء بعدها جملة تكون في موضع نصب الحال من ذي حال، أيّ يجب أن يكون في الجملة ضمير يعود على صاحب الحال مقدراً بمعنى (في حال) بتاويله إلى المفرد إمّا من اللفظ وإمّا من المعنى لأنّه الأصل. ويشترط في الجملة الواقعة بعد واو الحال أن تكون خبرية وهي التي تحتمل الصدق والكذب لصحّة وقوعها سواء كانت إسمية أم فعلية، وإنّ كانت إسمية فيجب أن يكون فيها ضمير يعود على صاحب الحال وفي هذه الحالة يجوز أن لا تذكر الواو، أمّا إن لم يكن فيها ضمير لزمت الواو فلا يجوز حذفها لأن الواو هي الرابطة للجملتين، فلولاها لم يقع ارتباط بينهما، وقد وردت في قول الإمام الحسن ﷺ: (ما أعرف أحداً إلاّ وهو

٤٧ المالقي, رصف المباني في شرح حروف المعاني ,٤٧٥-٤٧٤-٤٧٣ .
٤٨ السامرائي, معاني النحو ,١٨٨/٣ .

أحمق) فالواو هنا هي واو الحال والجملة بعدها إسمية في محل نصب حال، وفيها ضمير يعود على صاحب الحال وهو الفاعل (أنا).

**(أو)** [٤٩] [٥٠]: وهي حرف عطف تأتي لأحد الشيئين أو الأشياء، ولها في الكلام موضعان الأوّل: ناصبة بإضمار (أنْ) فيكون معناها (إلاّ)، وقد وردت بهذا المعنى في كلام الإمام الحسن ﷺ: (إيّاكَ أن تمدحَني أو تكذبَني أو تغتابَ)، والثاني: أن تكون حرف عطفٍ فتعطف مفرداً على مفرد وجملة على جملة. ولها في هذا الموضع خمسة معانٍ هي (الشك-الإبهام- التخيير- الإباحة- التقسيم- الإضراب كـ بل)، وقد جاءت في قول الإمام الحسن ﷺ: (إيّاك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك أو تكذّبني) أفادت التخيير؛ لأنّها سبقت بما معنى الطلب وهو أسلوب التحذير أي أحذّرك أن تفعل إحدى هذه الأمور، وفي قوله ﷺ: (ترك الذنوب حياءً أو خشيةً) دلّت "أو" على الإباحة وهو الجمع بين الشيئين فالحياء والخشية يجوز أخذهما معاً كلاهما من شُعب الإيمان.

**١٤- (أنْ)**: حرف ناصب يدخل على الفعل الماضي فيكون حرفاً مصدرياً فقط، وعلى الفعل المضارع فتنصب الفعل بعدها وتصرفه إلى الاستقبال وتكون حرف نصب ومصدري تفيد الاستقبال، وقد جاءت في كلام الإمام الحسن ﷺ بقوله: (أن لا تشكرَ-أن تمدحني) حرفاً مصدرياً ناصباً دالاً على الاستقبال وبعدها فعل مضارع منصوب بها، وقد استعملها هنا مع الفعل المضارع للدلالة على معناه وهو وقوع الحدث في الحال أو في الاستقبال.

**١٥- (إنَّ+أنَّ)**: حرفان مشبهان بالفعل، يأتيان لمعانٍ عدّة أشهرها التوكيد وهو الأصل والربط والتعليل، وقد جاءت في كلام الإمام الحسن ﷺ بقوله (إنّ أبصر الأبصار- أنّه في غير الحال- إنّ الدنيا) مفيدةً التوكيد.

**١٦- (حتى)**: تدخل على الفعل المضارع فينتصب بعدها الفعل ويرتفع، والفعل بعدها ينصب إذا كان مستقبلاً ولها في هذه الحال ثلاثة معانٍ: (انتهاء الغاية بمعنى "إلى أن"،

٤٩ المالقي, رصف المباني في شرح حروف المعاني ,٢١١-٢١٠ .
٥٠ السامرائي, معاني النحو ,٢١٩-٤/٢١٨ .

والتعليل مرادفة "كي"، ومرادفة "إلاّ أن"[٥١] [٥٢]، وقد وردت في قول الإمام الحسن ﷺ: (لا تؤاخِ أحداً حتى تعرفَ موارده ومصادره) حرف لانتهاء الغاية بمعنى "إلاّ أن" دلّت على المستقبل ونصب الفعل بعدها بأن المضمرة وجوباً.

١٧- (بل): حرف إضراب يدخل على المفردات والجمل، لها معنيان، الأوّل: أن تكون حرف ابتداء وذلك إذا لم يقع تشريك بين ما بعدها وما قبلها، وتكون عاطفة جملة على جملة كقولنا: قام زيدٌ بل عمرو خارج، والثاني: أن تكون حرف عطف مشركة ما قبلها مع ما بعدها في اللفظ وهو الإسمية في الأسماء والفعلية في الأفعال والرفع والنصب والخفض والجزم[٥٣] [٥٤]، ولا تشترك في المعنى لأنَّ الفعل لأحدهما دون الآخر وهو الثاني سواء كان الأول موجباً أو منفياً وقد ورد هذا المعنى في قول الإمام ﷺ: (قيل له: فيك عظمة فقال ﷺ: بل فيَّ عزّة) فـ بل حرف إضراب سبق بإيجاب فجعل ما قبله كالمسكوت عنه فأضرب عن العظمة لأنّها تكبّر وأثبت حكم ما بعده وهو العزّة مستشهداً بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون ٨].

وأمّا من ناحية الأسماء فقد تنوّع في استعمالها كالمصدر (اختلاف،حياء، خشية، إصلاح، قيام، تذكير، طلباً، هرباً، عبراً، أثراً، عقاب، وبال، ثواب، الشكر، الصبر، رشد، اللؤم، إقالة، عسراً)، واسم المصدر (الهدى-الدنيا-اختيار-العار- والمصدر الميمي (مذهبه-موارد-مصادر-مواساة).

اسم الفاعل (الواهب- هادم-حائل-مائل-نازلة)، اسم المفعول (مكذوب-موهوب)، صيغ المبالغة (مقطعات- نعيم- فجيع- نصير- حجيج- خصيم- قريب-بعيد)، الصفة المشبهة (غرور)، اسم المكان (موضع)، اسم التفضيل (أسلم-أحمق-أقرب).

وقد كثرت في هذه الحكم الجموع خاصّة جمع الجموع وهو نهاية جمع التكسير فإنّه يدلّ على الإحاطة والشمول والاستغراق مثل ( موارد-مصادر-الأبصار-الأسماع-القلوب-عبر-مواعظ)، وكل ذلك جعل النصّ متوازناً بين السكون والحركة، لأنَّ المشتقّات أصلها من الأفعال، والفعل فيه حركة ويدل على الحال أو الاستقبال فالنصّ يصلح لكلِّ زمان ومكان.

٥١ المالقي, رصف المباني في شرح حروف المعاني ,٢٥٨-٢٥٧ .
٥٢ صالح, معاني النحو ,٤/٣٣١-٣٣٠ .
٥٣ المالقي, رصف المباني في شرح حروف المعاني ,-٢٣١٢٣٠ .
٥٤ صالح, معاني النحو ,٤/٢٢٥-٢٢٤ .

من الناحية البلاغية نرى النصّ يتلوّن بألوان البديع اللفظية والمعنوية، ومن أمثلتها:

-طباق الإيجاب: (القريب/ البعيد، جد/ هزل).

-جناس (العار/ النار، مصادر/ موارد، العثرة/ الخبرة، العشرة/ العسرة، ).

-مقابلة (القريب من قربته/ البعيد من باعدته- إن بعد نسبه/ أدنى درجات اليقين).

-مراعاة النظير(الورع/ اليقين / الرضى ... كلّها من درجات الزهد- الكذّاب/ الأحمق... كلاهما ضرر).

-السجع وهو كثير( مقطعات النقمات-هادم اللذات/ نعيمها- فجيعها/ العبر- الأثر ...).

نلحظ مراعاة التعادل بين الحروف إذا احتيج إلى ذلك مع مراعاة المعاني فلا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي، فقد جعل الإمام الحسن ﷺ مفردات اللُّغة تخضع لإرادته في وضوح المعنى من طريق استعماله أساليب البديع كما رأينا من تضادّ وطباق ومقابلة وسجع والنظر إليها نظرة أكثر شمولية وعمقاً وإعارتها اهتماما أبلغ لتتواءم وبنية النصّ، وفي حكمة واحدة جمع فيها الإمام الحسن كل فنون البديع يقول ﷺ: (لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، ولا تتّكل على القدر اتكال المستسلم، فإنَّ ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفّة، وليست العفّة بدافعة رزقاً ولا الحرص بجالب فضلاً، فإنَّ الرزق مقسوم واستعمال الحرص استعمال المآثم)[٥٥]، نرى في هذه التحفة ألوان البديع في كلامه كالطباق (جالب/ دافع، لا تجاهد/ لا تتكل)، والجناس (تجاهد/ جهاد - تتكل/ اتكال- استعمال/ استعمال)، والمقابلة (جهاد الغالب/ اتكال المستسلم، ليست العفّة بدافعة رزقاً/ ولا الحرص بجالب فضلاً) ومراعاة النظير(الجهاد/ والعفّة/ الفضل/ الحرص كلها من الأخلاقيات والسنن)، (القدر/ الرزق كلها من الغيبيات) والسجع بين الفواصل(السنة/ العفة-رزقاً/ فضلاً-مقسوم/ مآثم).

هذه النصوص والأقوال ترتقي لتكوّن خطاباً مازال يمارس وظيفته في الحياة اليومية للمسلمين - بوصفه خطاباً نابضاً حيّاً لا مجرّد نص - من دون التقليل من خاصية كونه نصاً وحفظ بين يدي المسلمين، يكفيه فخراً أنّه خرج من أطهر وأشرف بيت.

---

٥٥ الحراني, الشيخ الحسن بن علي بن شعبة, تحف العقول عن آل الرسول, علي اكبر غفاري, ط٢ (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسيين, ١٩٦٣), ١٦٥.

ثـمّ إنّ المتأمّـل والـدارس لتراكيبهـا النحويـة والبلاغيـة يـبرز الخطابيـة فيهـا، ويبـيّن عمليّـة تلقّيهـا والتواصليـة التـي نتجـت عنهـا مجموعـة مـن الخطابـات أخـذت أشـكال أحاديـث وحكـم ومواعـظ وإرشـادات وقـد يكـون التركيـب **قصـيراً** في النـصّ يتـمّ بـه الفائـدة كقـول الإمـام الحسـن ﷺ: ( اللـؤم أن لا تشـكر النعمـة) ، وقـد يكـون **طويـلاً** فيتّصـل مـا تتـم بـه الفائـدة كشـبه الجملـة مـن الجـار والمجـرور والظـرف والمفاعيـل بأنواعهـا والمضـاف إليـه والصفـات وغيرهـا مـن المكمّـلات التـي وإن كانـت غـير أصيلـة في الجملـة مـن ناحيـة الظاهـر أو اللفـظ فإنّهـا أصيلـة مـن ناحيـة المعنـى والدلالـة كقولـه ﷺ: (أيّهـا النـاس إنّـه مـن نصـح لله وأخـذ قولـه دليـلاً هـدى للتـي هـي أقـوم، ووفقـه الله للرشـاد، وسـدّده للحسـنى، فـإنّ جـار الله آمـن محفـوظ، وعـدوّه خائـف مخـذول، فاحترسـوا مـن الله بكثـرة الذكـر، واخشـوا الله بالتقـوى، وتقربـوا إلى الله بالطاعـة، فإنّـه قريـب مجيـب، قـال الله تعـالى﴿ وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُـدُونَ﴾ .....) ، إذ نجـد عنـد تلاحمهـا مـع بعضهـا يصبـح لها حكـم جديـد إذ إنّهـا تظهـر مـن وقـع عليـه فعـل الفاعـل أو توضـح هيأتـه أو غايـة فعلـه، وقـد أشـار إليـه الفـارسي في إيضاحـه[٥٦]، وهـذا بالضبـط كالمسـند والمسـند إليـه في التركيـب.

إذن إن حِكـم الإمـام الحسـن ﷺ وأقوالـه غـير ثابتـة الحجـم قـد يصـل تـارة إلى حـد الصفحـة أو يقتـصر تـارة أخـرى إلى حـدّ جملـة أو جملتـين، وأسـلوب حديثـه وخطابـه متنـوّع الروابـط ومتعـدّد الأسـاليب بـين خبريـة ابتدائيـة وإنكاريـة، وأسـاليب إنشـاء كالنـداء والأمـر والـشرط، واستشـهاده ببعـض مـن آيـات القـرآن الكريـم، تلـك الخطابيـة جعلتـه مؤثـراً متفاعـلاً في كل المخاطبـين والمتلقّين عـبر الأزمنـة المختلفـة إلى يومنـا هـذا، والطبيعـة الخطابيـة للنـصّ في الأحاديـث النبويـة تتطلّـب فهـم السـياق الخطـابي سـياق التحـاور والمنـاداة والإجابـة والاسـتفهام ضمـن مسـتوياته، وبذلـك فالنـصّ والخطـاب في الأحاديـث النبويـة جميعهـا يشـكّلان نمطـين مختلفـين لكنّهـما متكامـلان في اسـتمراريتهما وخلودهمـا.

في ضـوء التحليـل السـابق نـرى أن البلاغـة والفصاحـة عنـد أهـل البيـت ترتقـي إلى أعـلى مـدارج الكـمال البـشري، وذلـك لحسـن معانيهـا بـأدقّ مـا يمكـن أن تؤدّيـه المفـردات والجمـل مـن

٥٦ الفارسي, الإيضاح العضدي ,٩.

دلالات ومعانٍ تقع في النفوس موقعاً بالغ التأثير، فالخطب والأحاديث والحكم والمواعظ تجري على سنن العرب في كلامها محفوفة بالأساليب والفنون العربيّة التي وقفت عليها من طريق مباحث البلاغيين، وهذه الأساليب والفنون تأتي في لغة الأئمة على الصورة التي تتساوق فيها الفكرة مع الفن التعبيري على أدقّ وجه، فكلّ لفظة أو جملة أو فقرة لا تجدها تخرج عن موضعها.

**الخاتِمــة:**

في ضـوء هـذا كلـه كان جديـراً بالدارسـين أن تكـون لهـم وقفـة بـل وقفـات متأمّلـة عنـد البلاغـة النبويـة بعقـد مباحـث تحليليـة تكشـف عـن مواطـن البراعـة والدقّـة في فـن القـول في أعـلى مسـتوياته.

نرى ممّا سبق:

-إن للكلام أصلاً ثم يُتسع فيه ويأتي على صور مختلفة كالتقديم والتأخير والنهي والنفي والاستفهام والنواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية، فالإيجاب أصل لغيره كالنفي، والخبر أصل للإنشاء، واول الكلام نداء سواء كان مذكوراً أو مقدراً كما يرى سيبويه، والنواسخ التي تدخل على الجملة الإسمية المؤلّفة من المبتدأ والخبر هي فقط نسخت حكمهما، وحذفها يعني أن تعود الجملة الإسمية مرفوعة الركنين، وغيرها من النواسخ الأخرى كالأفعال الناقصة، إنّ الحكم على هذا الكلام إنّما هو متعلق بالتعبير حصراً من ناحية تركيب وترتيب الكلمات وتأليفها .

- من عادة العرب أن تتّسع في المعنى وتبالغ فيه، وهذه المبالغة يكون لها طرائق متعدّدة في معنى المفردات منها المشتقّات كاسم الفاعل واسم المفعول واسم التفضيل واسم المصدر وصيغ المبالغة، وصيغ منتهى الجموع باوزرانها، وأيضاً الزيادة في بناء اللفظة الواحدة، يقول أهل اللُّغة: زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، وغير ذلك ممّا يعدّ سرًّا من أسرار التركيب وجماليته، وكلّ هذا رأيناه في كلام الإمام الحسن ﷺ.

المصادر:

آبادي, الفيروز مجد الدين محمّد بن يعقوب. القاموس المحيط. ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمّد البقاعي. د.ط. لبنان - بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٩.

ابن منظور, محمّد بن مكرم. لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر, ٢٠٠٤.

الحراني, الشيخ الحسن بن علي بن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول. قدّم له علي اكبر غفاري. ط٢. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين, ١٩٦٣.

الرضي, الشريف. نهج البلاغة. شرحه وضبط نصوصه محمّد عبده. ط١. بيروت - لبنان: مؤسسة المعارف, ١٩٩٠.

الزركشي, بدر الدين بن أبي عبد الله. البرهان في علوم القرآن. ط ١. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٧.

السامرائي, فاضل صالح. معاني النحو. ط٢. الاردن: دار الفكر, ٢٠٠٣.

الشاكري, الحاج حسين. سيرة الإمام الحسن ﷺ. ط ١. قم المقدسة: مؤسسة بلاغ المبين, ١٤٢٠.

الفارسي, أبو علي. الإيضاح العضدي. تحقيق حسن شاذلي فرهود. السعودية: جامعة الرياض, ١٩٦٩.

المالقي, أحمد بن عبد النور. رصف المباني في شرح حروف المعاني. تحقيق أحمد محمّد الخراط. ط٣. دمشق: دار القلم, ٢٠٠٢.

المبرد, محمّد بن يزيد بن عبد الله. المقتضب. إعداد حسن حمد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٩.

برجشتراسر. التطور النحوي للغة العربيّة. ط١. مصر: مكتبة الخانجي بالقاهرة, ١٩٢٩.

سيبويه, عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي. الكتاب. تحقيق وشرح هارون، عبد السلام محمّد. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي, ١٩٨٨.

سيد أحمد, ناصر, مصطفى محمّد, محمّد درويش, و أيمن عبدالله. المعجم الوسيط. ط١. لبنان - بيروت: دار إحياء التراث العربي, ٢٠٠٨.

صالح, السامرائي، فاضل. معاني النحو. ط٣. الاردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠٠٨.

صالح, فاضل. الجملة العربيّة والمعنى. ط ١. عمان، الأردن: دار الفكر, ٢٠٠٧.

**References**

Al-Abadi, Al-Fayruz Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub. Al-Qamus al-Muhit. Edited and documented by Yusuf al-Shaykh Muhammad al-Baqai. Beirut: Dar al-Fikr lil-Tiba'a wa al-Nashr wa al-Tawzi', 1999.

Al-Farisi, Abu 'Ali. Al-Idah al-'Uddi. Edited by Hasan Shadhili Farhud. Saudi Arabia: Jami'at al-Riyad, 1969.

Al-Harrani, al-Shaykh al-Hasan ibn 'Ali ibn Shu'bah. Tuhaf al-'Uqul 'an Al al-Rasul. Introduction by Ali Akbar Ghaffari. Qum: Mu'assasat al-Nashr al-Islami al-Tabi'ah li Jama'at al-Mudarrisin, 1963.

Al-Malqi, Ahmad ibn 'Abd al-Nur. Rasf al-Mabani fi Sharh Huruf al-Ma'ani. Edited by Ahmad Muhammad al-Kharat. T3. Damascus: Dar al-Qalam, 2002.

Al-Mubarrad, Muhammad ibn Yazid ibn 'Abd Allah. Al-Muqtadab. Prepared by Hasan Hamd. T1. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 1999.

Al-Radi, al-Sharif. Nahj al-Balagha. Edited and corrected by Muhammad Abdah. Beirut - Lebanon: Mu'assasat al-Ma'arif, 1990.

Al-Samarra'i, Fadil Salih. Ma'ani al-Nahw. T2. Jordan: Dar al-Fikr, 2003.

Al-Shakiri, al-Hajj Husayn. Sirat al-Imam al-Hasan ('alayhi al-salam). T1. Qum al-Muqaddasa: Mu'assasat Balagh al-Mubin, 1420.

Al-Zarkashi, Badr al-Din ibn Abi 'Abd Allah. Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an. T1. Beirut - Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 2007.

Birjishtrasir. Al-Tatawwur al-Nahwi lil-Lugha al-'Arabiyya. T1. Egypt: Maktabat al-Khanji bi-l-Qahira, 1929.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. Lisan al-'Arab. T3. Beirut: Dar Sadir, 2004.

Salih, al-Samarra'i, Fadil. Ma'ani al-Nahw. T3. Jordan: Dar al-Fikr lil-Tiba'a wa al-Nashr wa al-Tawzi', 2008.

Salih, Fadil. Al-Jumla al-'Arabiyya wa al-Ma'na. T1. Amman, Jordan: Dar al-Fikr, 2007.

Sayyid Ahmad, Nasir, Mustafa Muhammad, Muhammad Darwish, and Ayman 'Abd Allah. Al-Mu'jam al-Wasit. T1. Lebanon - Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 2008.

Sibawayh, 'Amr ibn 'Uthman ibn Qanbar al-Harithi. Al-Kitab. Edited and explained by Harun 'Abd al-Salam Muhammad. T3. Cairo: Maktabat al-Khanji, 1988.